

البراء

عناصر الموضوع

٨	مفهوم البراء
٩	البراء في الاستعمال القرآني
١٠	الألفاظ ذات الصلة
١٢	البراءة في حق الله تعالى
١٥	براءة الأنبياء والصالحين من أقوامهم
٢٠	براءة الشيطان من أتباعه
٢٢	من صور البراءة يوم القيامة
٢٣	الأسلوب القرآني في عرض البراء
٢٧	ما يُتبرأ منه
٢٩	ثمرات البراءة ونتائجها

مفهوم البراء

أولاً: المعنى اللغوي:

برأ: الباء، والراء، والهمزة: يدل على أصلين في اللغة إليهما ترجع فروع الباب > أحدهما: الخلق، يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم براءً، والبارئ: الله جل ثناؤه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].
والأصل الآخر: التباعد عن الشيء، يدل على التبرؤ، والتخلص، والتزهر، والتباعد، والتنصل والتزائل، وغير ذلك.
والبراء: مصدر برئت^(١)؛ ولأنه مصدر فلا يجمع ولا يشئ ولا يؤنث، فتقول: رجلٌ براء، ورجلان براء، ورجالٌ براء، وامرأة براء^(٢)، وقوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [التوبة: ١]. أي: إعذار وإنذار وتزهر^(٣)، وليلة البراء: ليلة يتبرأ القمر من الشمس، وهي أول ليلة من الشهر^(٤).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

لقد عرف العلماء البراء اصطلاحاً بتعريفات عديدة منها:
«هو البعد، والخلاص، والعداوة بعد الإعذار والإنذار»^(٥).
«بغض أعداء الله من المنافقين وعموم الكفار، وعداوتهم، والبعد عنهم، وجهاد الحريين منهم بحسب القدرة»^(٦).
«بغض الطواغيت التي تعبد من دون الله تعالى (من الأصنام المادية والمعنوية: كالأهواء والآراء)، وبغض الكفر (بجميع ملله) وأتباعه الكافرين، ومعاداة ذلك كله»^(٧).

- (١) انظر: المقصور والممدود، الفراء ص ٢٦، المقصور والممدود، أبو علي القالي ص ٣٥٩.
- (٢) انظر: المصدرين السابقين، تهذيب اللغة، الأزهرى ٢٦٩/١٥.
- (٣) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري ٢/ ٣٣٦.
- (٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور ١/ ٣٢، مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ٢٣٦، مختار الصحاح، الرازي، ص ٤٥، القاموس المحيط ٨/ ١.
- (٥) الولاء والبراء في الاسلام، القحطاني ص ٩٠.
- (٦) تسهيل العقيدة الإسلامية، الجبرين ص ٥٥٢.
- (٧) الولاء والبراء بين الغلو والجفاء، حاتم الشريف ص ١٣.

البراء في الاستعمال القرآني

وردت مادة (برأ) في القرآن الكريم (٣١) مرة، وما يخص منها موضوعنا (٢٣) مرة^(١). والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	٥	﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبَرَأُ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ [البقرة: ١٦٧]
الفعل المضارع	٢	﴿وَمَا أَتَرَىٰ نَقِيًّا﴾ [يوسف: ٥٣]
الاسم	١٢	﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّاءُ مِنْكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤]
المصدر	٣	﴿بِرَّاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]
اسم المفعول	١	﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ [النور: ٢٦]

وجاء البراء في الاستعمال القرآني بمعناه اللغوي، وهو المفارقة والتباعد من الشيء ومزاييلته^(٢).

(١) انظر: المعجم الشامل لألفاظ القرآن الكريم، عبدالله جلغوم، ص ٣١٤.
(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ٢٣٦، مختار الصحاح، الرازي ص ٣١.

الألفاظ ذات الصلة

١ البراءة:

البراءة لغةً:

مصدر (بريء) إذا تنزه وتباعد، وبريء إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال ابن الأعرابي: بريء إذا تخلص من عهدة الرد به^(١).

البراءة اصطلاحًا:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي، بل ينحدر منه.

الصلة بين البراء وبراءة:

لا يوجد فرق فهما بنفس المعنى، بل إن لفظة البراءة من اشتقاقات لفظة (برأ)، ويتضح ذلك من خلال تعريف البراء.

٢ الترك:

الترك لغةً:

بمعنى التخلية عن الشيء، أي: البعد عنه، وترك الأمر، أي: طرحه وأهمله^(٢)، وهذا المعنى مشابه لمعنى البراء إلى حد كبير.

الترك اصطلاحًا:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي.

الصلة بين الترك والبراءة:

هناك تشابه إلى حد كبير مع مصطلح البراء، فالبراء يشتمل على معنى المفارقة والتجنب والإهلاك والامتحان.

٣ الولاء:

الولاء لغةً:

القرب والدنو والمحبة والنصرة^(٣)، قال الراغب الأصفهاني: «ولي: الولاء والتوالي: أن

(١) انظر: لسان العرب، ٣٣/١، وذكر ذلك أيضًا الأزهري في تهذيب اللغة ٢٦٩/١٥.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس ٣٤٥/١.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٤٠٥/٩، مقاييس اللغة، ابن فارس، ص ١١٠٣، مختار الصحاح، الرازي، ص ٣٧٦، القاموس المحيط، الفيروزآبادي ٤٠١/٤.

يحصل شيثان فصاعداً حصولاً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد، والولاية: النصرة»^(١).

الولاء اصطلاحاً:

التقرب إلى الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالمحبة والنصرة والطاعة، وغير ذلك من مظاهر الولاء^(٢).

الصلة بين الولاء والبراء:

معنى الولاء يأتي على النقيض تماماً من معنى البراء، فالبراء يعني البعد والطرح والبغض، أما الولاء فيعني القرب والحب والنصرة

(١) المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٥٣٤.

(٢) انظر: الولاء والبراء في الإسلام، القحطاني ص ٨٧.

البراءة في حق الله تعالى

أولاً: براءة الله عز وجل من المشركين:

قال تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١].

والمعنى: إلى الذين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين؛ لأن العهود بين المسلمين والمشركين عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يكن يتولى عقدها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من يعقدها بأمره، ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه، وأن عقود النبي صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم؛ لأنهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين، ولعقوده عليهم مسلمين، فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم، فلذلك قال: ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده^(١).

وقد جاء قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣].

معطوفاً على قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾

وموقع لفظ (أذان) كموقع لفظ (براءة) في التقدير، وهذا إعلام المشركين الذين

لهم عهد بأن عهدهم انتقض^(٢)، وكما أن هذه الآية تقرر حكماً شرعياً، والمشرع هو الله أضيف صدور البراءة إليه سبحانه، وعطف عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا المقام؛ لأنه هو المبلغ عنه، والمنفذ لما يبلغه^(٣).

قال الامام الرازي: «لقاتل أن يقول: لا فرق بين قوله: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وبين قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾، فما الفائدة في هذا التكرير؟

والجواب عنه من وجوه:

الوجه الأول: أن المقصود من الكلام الأول الإخبار بثبوت البراءة، والمقصود من هذا الكلام إعلام جميع الناس بما حصل وثبت.

والوجه الثاني: أن المراد من الكلام الأول البراءة من العهد، ومن الكلام الثاني البراءة التي هي نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد، والذي يدل على حصول هذا الفرق أن في البراءة الأولى بريء إليهم، وفي الثانية: بريء منهم، والمقصود أنه تعالى أمر في آخر سورة الأنفال المسلمين بأن يوالي بعضهم بعضاً، ونبه به على أنه يجب عليهم أن لا يوالوا

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠ / ١٠٧.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي ٦ / ١٩٦.

(١) جامع البيان، الطبري ١٤ / ٩٦.

بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر، إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدرة^(٢): وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فأروه عرياً أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه، ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩]^(٣).

قال ابن عاشور: «معنى ﴿برأه﴾ أظهر براءته عياناً؛ لأن موسى كان بريئاً مما قالوه من قبل أن يؤذوه بأقوالهم، فليس وجود البراءة منه متفرعة على أقوالهم، ولكن الله أظهرها عقب أقوالهم، فإن الله أظهر براءته من التغيرير بهم إذ أمرهم بدخول أريحا،

(٢) الأدرة: بالضم: نفخة في الخصية؛ يقال: رجلٌ أدر بين الأدر. انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي ص ٣٤٢، لسان العرب، ابن منظور ١٥/٤، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ١٠/١. (٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم ٣٤٠٤، ١٥٦/٤.

الكفار وأن يتبرءوا منهم، فهنا بين أنه تعالى كما يتولى المؤمنين فهو يتبرأ عن المشركين ويذمهم ويلعنهم، وكذلك الرسول؛ ولذلك أتبعه بذكر التوبة المزيل للبراءة.

والوجه الثالث: في الفرق أنه تعالى في الكلام الأول، أظهر البراءة عن المشركين الذين عاهدوا ونقضوا العهد، وفي هذه الآية أظهر البراءة عن المشركين من غير أن وصفهم بوصف معين؛ تنبيهاً على أن الموجب لهذه البراءة كفرهم وشركهم^(١).

ثانياً: تبرأه الله لموسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩]

لقد حكى القرآن الكريم ألواناً من إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام، ومن ذلك قولهم له: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥].

وقولهم: ﴿قَالُوا يَنْمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨].

ومن إيذائهم له عليه السلام ما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ١٥/٥٢٦.

لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا»^(٣).

فثبت قلوبهم وافتتحوها، وأظهر براءته من الاستهزاء بهم إذ أظهر معجزته حين ذبحوا البقرة التي أمرهم بذبحها فتبين من قتل النفس التي ادارأوا فيها، وأظهر سلامته من البرص والأدرة حين بدا لهم عرياناً لما انتقل الحجر الذي عليه ثيابه. ومعنى: ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ برأه من مضمون قولهم لا من نفس قولهم؛ لأن قولهم قد حصل وأوذي به، وهذا كما سموا السبة القالة»^(١).

واختتام الآية بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ توضح سبب عناية الله عز وجل بتبرئة نبيه موسى عليه السلام، والوجيه: هو صاحب الجاه والمكانة، فكانت لموسى عليه السلام مكانة عظيمة عند الله تعالى، وهذا تسفيه للذين آذوه بأنهم آذوه بما هو مبرأ منه، وتنويه وتوجيه لتنزيه الله إياه بأنه مستحق لتلك التبرئة؛ لأنه وجيه عند الله تعالى^(٢).

وأولى الأقوال وأصوبها في قضية تبرئة موسى عليه السلام ما قاله الإمام الطبري: «أن يقال: إن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤدي به، فبرأه الله مما آذوه به، وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم: إنه أبرص، وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون، وجائز أن يكون كل ذلك؛

(١) التحرير والتنوير ٢٢ / ١٢١.

(٢) انظر: تفسير السمرقندي ٣ / ٧٦.

(٣) جامع البيان ٢٠ / ٣٣٥.

وما دام هذا السبب قائماً، كانت العداوة قائمة، حتى إن أزالوه وآمنوا بالله وحده، انقلبت العداوة موالاة، والبغضاء مودة، والمقت محبة، فأفصحوا عن محض الإخلاص»^(٢).

فيوضح القرآن الكريم كيف أعلن إبراهيم عليه السلام والمؤمنون معه بكل شجاعة وشدة، إيمانهم الكامل بالحق، وبراءتهم وكراهيتهم واحتقارهم، لكل من أشرك مع الله عز وجل في العبادة آلهة أخرى، وأنهم لم يكتفوا بالتغيير القلبي للمنكر، بل جاهرُوا بعداوتهم له، وبالتنزه عن اقتراهم منه^(٣).

وفي موضع آخر يعلن إبراهيم عليه السلام براءته من شرك قومه صراحة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى السَّمَاسَ بَارِزَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغَوِّمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨].

قال الإمام الطبري: « فلما رأى إبراهيم الشمس طالعة، قال: هذا الطالع ربي، ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾، يعني: هذا أكبر من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ﴾، يقول: فلما غابت، قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿يُغَوِّمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أي: من عبادة الآلهة والأصنام ودعائه إلهًا مع الله تعالى »^(٤).

براءة الأنبياء والصالحين من أقوامهم

أولاً: براءة إبراهيم عليه السلام والمؤمنين معه:

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤].

والمعنى: قد كان لكم - أيها المؤمنون - أسوة حسنة، وخصلة حميدة، ومنقبة كريمة، في قصة أبيكم إبراهيم عليه السلام، وفي قصة الذين آمنوا معه، وقت أن قالوا لقومهم الكافرين، بشجاعة وقوة: إنا براء منكم، ومن أللهتكم التي تعبدونها من دون الله عز وجل، وإنا قد كفرنا بكم وبمعبوداتكم، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغض على سبيل التأييد والاستمرار، ولن نتخلى عن ذلك معكم، حتى تؤمنوا بالله - تعالى وحده -، وتتركوا عبادتكم لغيره تعالى^(١).

قال صاحب الكشاف: «لقد كان في إبراهيم ومن آمن معه مذهب حسن مرضي، جدير بأن يؤتسى به، ويتبع أثره، وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا، حيث كاشفهم بالعداوة، وقشروا لهم العصا، وأظهروا لهم البغضاء والمقت، وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم، ليس إلا كفرهم بالله،

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي ٢٨ / ١٢٨.

(٢) الكشاف، الزمخشري ٤ / ٥١٤.

(٣) انظر: مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ٤٨٢.

(٤) جامع البيان، الطبري ١١ / ٤٨٧.

ثانيًا: براءة نوح عليه السلام:

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرْتَ جَدَلَنَا فَأَنَّا بِنَا بِمَا تُؤَدُّنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣٢) قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (٣٣) وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٣٤) أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْنَاهُ فَعَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِنَّا بِرِئَاءٍ مِمَّا تَجْعَلُونَ (٣٥) [هود: ٣٢-٣٥].

والمعنى: قال قوم نوح له: قد طال منك هذا الجدل، وهو المراجعة في الحجة ومقابلة الأقوال ومناقشتها حتى تقع الغلبة، فأتنا بما تعدنا به من العذاب والهلاك المعجل في الدنيا، إن كنت صادقًا في ادعائك أن الله يعذبنا على عصيانه في الدنيا قبل الآخرة، أجاب نوح قومه عن اتهامه بكثرة الجدل قائلاً: ليس إنزال العذاب أو العقاب بيدي، وليس لي توقيته، وإنما ذلك بيد الله، وهو الآتي به إن شاء وإذا شاء، ولستم من المنعة بحال من يفلت أو يعتصم لتنجوا، وإنما أنتم في قبضة القدرة الإلهية، وتحت سلطان الملك الإلهي، وليس نصحي بنافع، ولا إرادتي الخير لكم مغنية إذا كان الله تعالى قد أراد بكم الإغواء والإضلال والإهلاك، الله ربكم، أي خالقكم والمتصرف في أموركم، وهو الحاكم العادل الذي لا يجور، وإليه ترجعون في الآخرة، فيجازيكم بما كنتم

تعملون في هذا العالم من خير أو شر. وقوله سبحانه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ﴾ اختلف المفسرون في هذه الآية. فقال الطبري: «أن هذه الآية معترضة في قصة نوح، وهي في شأن محمد صلى الله عليه وسلم مع كفار قريش، ويحتمل كون الكلام في شأن نوح عليه السلام، فإن قومه زعموا أن العذاب الذي توعدهم به أمر مفترى بقصد إرهابهم.

والراجح أن هذه الآية من محاوره نوح لقومه، كما قال ابن عباس؛ لأنه ليس قبل هذا الكلام ولا بعده إلا ذكر نوح وقومه، والخطاب منهم ولهم، وهم يقولون: افترى ما أخبركم به من دين الله، وعقاب من أعرض عنه، ففي هذه الآية إعلان صريح من نوح أنه بريء من أعمال قومه وشركهم»^(١). وفي موضع آخر يتحدث نوح قومه بأنه لا يكثر بثهديد ووعد قومه له.

قال تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَنْقُوهَ إِنْ كَانَ كِبَرٌ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكِّرِي بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٧١) فَأَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَشُرَكَاءَهُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (٧٢) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٣) [يونس: ٧١-٧٣].

(١) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي ٢/ ١٠٤٠، تفسير الشعراوي ١١/ ٦٤٤٨.

بعد أن دعا نبي الله هود عليه السلام قومه لعبادة الله وحده، وحذرهم من الإعراض عنه سبحانه ، وناداهم بلفظ: -يا قوم- ثلاث مرات، توددًا إليهم، وتذكيرًا لهم بأصرة القرابة التي تجمعهم وإياه؛ لعل ذلك يستثير مشاعرهم، ويحقق اطمئنانهم إليه، كان جوابهم: ما جئتنا بحجة وبرهان على ما تدعيه أنك رسول من عند الله، ولن نترك عبادة آلهتنا بمجرد قولك: اتركوهم، وما نحن لك بمصدقين، فكان جوابهم متضمنًا أربعة أشياء كلها عناد وحمافة واستكبار، وهي المطالبة بالبينّة والإصرار على عبادة الآلهة.

قوله تعالى: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَنَّاكَ بَعْضُ إِلَهِتِنَا يَسُوءُ﴾ قال الامام الزمخشري فيها ما ملخصه «أي: مسك بجنون لسبك إياها، وصدك عنها، وعداوتك لها، مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء، فمن ثم صرت تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين»^(٢).

ثم قال: «وقد دلت ردودهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد، لا يبالون بالبهت، ولا يلتفتون إلى النصيح، ولا

(٢) البرسام: أي بكسر الموحدة سرياني معرب أطلق على اختلال العقل وعلى ورم الرأس وعلى ورم الصدر.

انظر: فتح الباري، ابن حجر ١/ ٣٣٨.

يقول نوح عليه السلام لقومه: إن كان قد شق عليكم وعظم قيامي معكم للدعوة إلى عبادة ربكم، وتذكيري ووعظي إياكم بآيات الله أي بحججه وبراهينه الدالة على وحدانيته وعبادته، فإني توكلت على الله وحده ووثقت به، فلا أبالي ولا أكف عن دعوتي ورسالتي، سواء عظم عليكم أو لا، فأجمعوا أمركم، أي اعزموا على ما تريدون من أمر تفعلونه بي، أنتم وشركاؤكم الذين تعبدونهم من دون الله من صنم ووثن، ولا تجعلوا أمركم الذي تعتزموه خفيًا ملتبسًا عليكم، بل أظهروه لي، وتبصروا فيه، وافصلوا حالكم معي، فإن كنتم تزعمون أنكم محقون فاقضوا إلى ذلك الأمر ونفذوه بالفعل، ولا تؤخروني ساعة واحدة عن تنفيذ هذا القضاء، فمهما قدرتم فافعلوا، فإني لا أبالي بكم ولا أخاف منكم لأنكم لستم على شيء^(١).

ثالثًا: براءة هود عليه السلام:

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَنَّاكَ بَعْضُ إِلَهِتِنَا يَسُوءُ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ بِاللَّهِ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٥﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٢/ ٥٢٤.

تلين شكيمتهم للرشد، وهذا الأخير دال على جهل مفرط، وبله متناه، حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتتقم...»^(١).

وبعد أن استمع هود عليه السلام إلى ردودهم القبيحة، فما كان منه إلا أن يقف منهم موقف المتبري من شركهم، والمتحدي لطغيانهم، والمعتمد على الله - تعالى وحده - في الانتصار عليهم، ولقد حكى القرآن رده عليهم فقال: ﴿قَالَ

إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أي: أشهد الله على نفسي وأشهدوا علي أنني بريء من شرككم ومن عبادة الأصنام، ولا يعني هذا أنهم كانوا أهلاً للشهادة، ولكنه نهاية للتقرير، أي لتعرفوا، ولم يقل: (إني أشهد الله وأشهدكم) لثلا يفيد التشريك بين الشهادتين والتسوية بينهما؛ فإن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم، ودلالة على قلة المبالاة بهم، وإذا كنت بريئاً من جميع الأنداد والأصنام، أي مما تشركون من دون الله، فإني أعلن ذلك صراحة، فاجمعوا كل ما تستطيعون من أنواع الكيد لي، جميعاً أي أنتم وآلهتكم، ولا تمهلوني طرفة عين، إني فوضت أمري كله لله ربي وربكم، ووكلته

في حفظي، فهو على كل شيء قدير^(٢). ويمكننا أن نخلص إلى أن رد هود عليه السلام على قومه تضمن عدة أمور وهي: التحدي والمعجزة الباهرة، وقلة المبالاة بهم وبتهديدهم، والبراءة من شركهم، وإشهاد الله على ذلك، وإشهادهم على براءته من شركهم، وطلبه المكيدة له، وإظهار قلة المبالاة بهم، وعدم خوفه منهم ومن آلهتهم.

رابعاً: براءة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: ﴿قُلْ أَنتُمْ شَرِكٌ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩].

قال الإمام الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين، الجاحدين نبوتك، العادلين بالله، رباً غيره: ﴿أَتَيْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى﴾، أيها المشركون لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى»، يقول: تشهدون أن معه معبودات غيره من الأوثان والأصنام»^(٣).

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٥ / ٣٦٠، إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٤ / ٢١٨، لباب التأويل، الخازن ٢ / ٤٨٩.
(٣) جامع البيان ١١ / ٢٩٢.

عملكم، ولا يضركم عملي، وإنما يجازى كل عامل بعمله ﴿عَمَلَكُمْ أَنْتُمْ بَرِّتُونَ مِمَّا أَعْمَلُ﴾، لا تؤاخذون بجريته ﴿وَأَنَا بَرٌّ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لا أؤخذ بجريرة عملكم^(٢).

قال ابن تيمية: «فقد أمره الله أن يتبرأ من عمل كل من كذبه وتبريه هذا يتناول المشركين وأهل الكتاب»^(٣).

فقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة، أن يظهر البراءة من أعمال الكفار القبيحة إنكاراً لها، وإظهاراً لوجوب التباعد عنها، وبين هذا المعنى في سورة الكافرون^(٤).

ومن الآيات التي تحدثت عن تهديد النبي صلى الله عليه وسلم لعشيرته بالبراءة، قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٥) وَخُفِّضَ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ^(٦) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرٌّ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ^(٧) [الشعراء: ٢١٤-٢١٦].

ومعنى هذه الآيات: فإن عصيتك يا محمد صلى الله عليه وسلم عشيرتك الأقربون الذين أمرتك بإنذارهم، وأبوا إلا الإقامة على عبادة الأوثان، والإشراك بالرحمن، فقل لهم: (إني بريء مما تعملون) من عبادة الأصنام ومعصية باري الأنعام^(٨).

قال الإمام الرازي: «واعلم أن هذا الكلام دال على إيجاب التوحيد والبراءة عن الشرك من ثلاثة أوجه:

أولها: قوله: ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ أي: لا أشهد بما تذكرونه من إثبات الشركاء.

وثانيها: قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ﴾ وكلمة إنما تفيد الحصر، ولفظ الواحد صريح في التوحيد ونفي الشركاء.

وثالثها: قوله: ﴿وَأِنِّي بَرٌّ مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ وفيه تصريح بالبراءة عن إثبات الشركاء، فثبت دلالة هذه الآية على إيجاب التوحيد بأعظم طرق البيان وأبلغ وجوه التأكيد.

قال العلماء: المستحب لمن أسلم ابتداءً أن يأتي بالشهادتين، ويتبرأ من كل دين سوى دين الإسلام.

ونص الشافعي رحمه الله على استحباب ضم التبري إلى الشهادة؛ لقوله: وإنني بريء مما تشركون عقيب التصريح بالتوحيد^(٩).

ومما يتصل بسياق الآية قوله تعالى: ﴿وَلَنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِّتُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرٌّ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

قال الإمام الطبري: «وإن كذبتك يا محمد، هؤلاء المشركون، وردوا عليك ما جئتهم به من عند ربك، فقل لهم: أيها القوم، لي ديني وعملي، ولكم دينكم وعملكم، لا يضرني

(١) مفاتيح الغيب ١٢ / ٥٠٠.

(٢) جامع البيان ١٥ / ٩٤.

(٣) مجموع الفتاوى ١٦ / ٥٤٦.

(٤) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٢ / ١٥٧.

(٥) انظر: جامع البيان، الطبري ١٩ / ٤١١.

براءة الشيطان من أتباعه

يعتبر الشيطان من ألد الأعداء للإنسان منذ بداية الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولقد أخذ الشيطان العهد على نفسه أمام الله عز وجل على إغواء بني آدم وإضلالهم، ولكن يأتي يوم على الشيطان يعلن براءته من الإنسان، وسوف نتعرف على بعض المواقف التي يتبرأ فيها الشيطان من أتباعه:

أولاً: براءة الشيطان من المشركين في بدر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

ألقى الشيطان في روع المشركين أنهم لا يغلبون لكثرة عددهم، وعددهم، وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات تجعله مجيراً لهم، وحافظاً إياهم عن السوء حتى قالوا: اللهم انصر أهدي الفتتين، وأفضل الدينين، ولكن حينما التقت الفئتان، فئة المؤمنين وفئة المشركين ولى الشيطان مدبراً وقال للكافرين: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾ أي: من عهدكم وجواركم ونصرتكم، إني أرى

وهذه الآية تفريع على قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ أي: فإن عصوا أمرك المستفاد من الأمر بالإنذار، أي: فإن عصاك عشيرتك فما عليك إلا أن تتبرأ من عملهم، فالتبرؤ إنما هو من كفرهم، وإنما أُمِرَ أن يقول لهم ذلك؛ لإظهار أنهم أهلٌ للتبرؤ من أعمالهم، فلا يقتصر على إضمار ذلك في نفسه^(١).

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٩/ ٢٠٣.

وأمرهم بأن يلوموا أنفسهم؛ لأنهم هم الذين قبلوا الباطل البحت الذي لا يلتبس بطلانه على من له أدنى عقل، ثم أوضح لهم بأنه لا نصر عنده ولا إغاثة، بل هو مثلهم في الوقوع في البلية، ثم صرح لهم بأنه قد تبرأ مما اعتقدوه فيه وأثبتوه له، وهو إشراكه مع الله تعالى فتضاعفت عليهم الحسرات، وتوالت عليهم المصائب^(٢).

من الملائكة النازلة لتأييد المؤمنين ما لا ترونه أنتم، إني أخاف الله أن يعذبني قبل يوم القيامة، أو إني أخاف الله أن يصيبني بمكروه من قبل ملائكته^(١).

ثانيًا: براءة الشيطان ممن دعاهم للكفر يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

لقد قام الشيطان للكافرين في هذا اليوم مقامًا يقصم ظهورهم، ويقطع قلوبهم، فأوضح لهم أن مواعيده التي كان يعدهم بها في الدنيا باطلة معارضة لوعده الحق من الله تعالى وأنه أخلفهم ما وعدهم به، ثم أوضح لهم بأنهم قبلوا قوله بما لا يتفق مع العقل؛ لعدم الحجة التي لا بد للعاقل منها في قبول قول غيره، ثم أوضح لهم بأنه لم يكن منه إلا مجرد الدعوة العاطلة عن البرهان، الخالية عن أي شيء مما يتمسك به العقلاء، ثم نعى عليهم ما وقعوا فيه، ودفع لومهم له،

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي ٤ / ٣٤٥.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠ / ٣٤.

من صور البراءة يوم القيامة

أولاً: براءة الرؤساء والكبراء من أتباعهم:

قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْمَكَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦].

يوم القيامة يتبرأ الرؤساء والكبراء من مرءوسيههم، حين يجمع القادة والأتباع، فيتبرأ بعضهم من بعض حال رؤيتهم جميعاً للعذاب وأسبابه ومقدماته، وما أعد لهم من شقاء وآلام، وقد ترتب على كل ذلك أن تقطع ما بين الرؤساء والأذئاب من روابط كانوا يتواصلون بها في الدنيا، وصار كل فريق منهم يلعن الآخر ويتبرأ منه^(١).

قال الطبري: «أخبر تعالى أن المتبعين على الشرك بالله يتبرءون من أتباعهم حين يعاينون عذاب الله. ولم يخصص بذلك منهم بعضاً دون بعض، بل عم جميعهم. فداخل في ذلك كل متبوع على الكفر بالله والضلال أنه يتبرأ من أتباعه الذين كانوا يتبعونه على الضلال في الدنيا، إذا عاينوا عذاب الله في الآخرة»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا الْمَكَذَابَ﴾ يشمل الكل، ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ أي:

عنهم، مثل قوله: ﴿قَسَتْ لَهُ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩].

وفي الأسباب أربعة أقوال:
أحدها: أنها المودات، وإلى نحوه يذهب ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.
والثاني: أنها الأعمال، رواه السدي عن ابن مسعود، وابن عباس، وهو قول أبي صالح وابن زيد.
والثالث: أنها الأرحام، رواه ابن جريج عن ابن عباس.
والرابع: أنها تشمل جميع ذلك^(٣).

ثانياً: تمنى التابعين للرؤساء العودة للدنيا للتبرؤ منهم:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا كَرَّةً فَتَتَّبَرَأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

يقول الذين كانوا تابعين لغيرهم في الباطل: ليت لنا رجعة إلى الحياة الدنيا، فتتبرأ من هؤلاء الذين اتبعناهم وأضلونا السبيل، كما تبرءوا منا في هذا اليوم العصيب، ولنشفي غيظنا منهم؛ لأنهم خذلونا وأوردونا موارد التهلكة والعذاب الأليم، مثل ذلك الذي رأوه من العذاب، يريهم الله جزاء أعمالهم حسرات عليهم،

(١) انظر: الدر المنثور، السيوطي ١/ ٤٠٢.

(٢) جامع البيان، الطبري ٣/ ٢٨٨.

(٣) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ١/ ١٣١.

الأسلوب القرآني في عرض البراء

نزل القرآن بلسان عربي مبين، على أفصح العرب وأقومهم لساناً، وكان القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للرسول صلى الله عليه وسلم حيث تحداهم الله أن يأتيوا بمثله، بل أن يأتيوا بسورة منه، فهذا القرآن المعجزة يقف المسلم أمامه منبهراً، بين الإعجاز وبين سلاسة الأسلوب وسهولة العبارة، وستتعرف على أسلوب القرآن الكريم في عرض موضوع البراء.

أولاً: أسلوب الطلب:

أساليب الطلب في اللغة تأتي على عدة صور، منها:

١. صيغة الأمر.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٦].

أي: إن أبوا قبول دعوتك إلى التوحيد، ورفضوا ما تدعوهم إليه، فأخبرهم يا محمد صلى الله عليه وسلم بأنك بريء مما يعملون^(٢).

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ③ مَا أَعْبُدُ ④ وَلَا أَفَاعِلُ مَا عِبَدْتُمْ ⑤ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾

أي أن الله يظهر لهم أن أعمالهم كان لها أسوأ الأثر في نفوسهم؛ لما ورثته فيها من حسرة وشقاء وخسران، فهي تذهب وتضمحل، ولن يخرجوا من النار إلى الدنيا لشفاء كيدهم وغيظهم من رؤسائهم، وهذا ما يؤكد قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ أي: أنهم خالدون في النار ولن يخرجوا منها أبداً^(١).

(١) انظر: تفسير الشعراوي، ٢/٦٩٦.

(٢) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري ٣/٦٨٧.

[الكافرون ١-٦].

والمعنى: قل يا محمد صلى الله عليه وسلم: يا أيها الكافرون، لا أعبد على الإطلاق ما تعبدون من الأصنام والأوثان، فلست أعبد آلهتكم بأية حال، والآية تشمل كل كافر على وجه الأرض، ﴿وَلَا أَنْتَ عِبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ أي: ولستم أنتم ما دمتم على شرككم وكفركم عابدين الله الذي أعبد، فهو الله وحده لا شريك له، فهذه الآيات تنفي الاتحاد في العبادة، والمقصود من ذلك المبالغة التامة في البراءة من معبوداتهم الباطلة، ومن عبادتهم الفاسدة.

فترى السورة الكريمة، قد قطعت كل أمل توهم الكافرون عن طريقه الوصول إلى مهادة النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى الاستجابة لشيء من مطالبهم الفاسدة، وإنما هو صلى الله عليه وسلم بريء براءة تامة منهم ومن معبوداتهم وعباداتهم^(١).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيثُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١].

أي: أخبرهم بأنهم لا يؤاخذون بعملك ولا تؤاخذ أنت بعملهم، فهم بريثون منك وأنت بريء منهم^(٢).

٢. صيغة النهي.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المستحقة: ١].

أي: يا أيها المصدقون بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا عدوي وعدوكم أنصارًا وأصدقاءً وأعوانًا لكم، بل لابد أن تبرؤوا منهم ومن أعمالهم^(٣).

وينفس المعنى في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَلَا إِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَجَبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ [التوبة: ٢٣].

ثانيًا: أسلوب الخبر:

قال تعالى: ﴿قَالَ يَنْفَقِرْ إِيَّيَّيَّ وَمَا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨].

بعدما تعرف إبراهيم عليه السلام على الإله الحق، أخبر قومه بأنه بريء من كل الآلهة التي يعبدونها من دون الله تعالى^(٤).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِتَانُ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

أي: فلما رأى إبليس الملائكة ﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾^(٥).

(٣) انظر: أوضح التفاسير، الخطيب ١/ ٦٨٠.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٢٦٢.

(٥) انظر: التفسير الوسيط، محمد طنطاوي

(١) انظر: التفسير الوسيط، محمد طنطاوي ٥٢٦/١٥.

(٢) انظر: تفسير المراغي ١١/ ١١٠.

ومقابلة الأقوال ومناقشتها حتى تقع الغلبة، فأنا بما تعدنا به من العذاب والهلاك المعجل في الدنيا، إن كنت صادقاً في ادعائك أن الله يعذبنا على عصيانه في الدنيا قبل الآخرة، أجاب نوح قومه عن اتهمه بكثرة الجدل قائلاً: ليس إنزال العذاب أو العقاب بيدي، وليس لي توقيته، وإنما ذلك بيد الله، وهو الآتي به إن شاء وإذا شاء، ولستم من المنعة بحال من يفلت أو يعتصم لتنجوا، وإنما أنتم في قبضة القدرة الإلهية، وتحت سلطان الملك الإلهي، وليس نصحي بنافع، ولا إرادتي الخير لكم مغنية إذا كان الله تعالى قد أراد بكم الإغواء والإضلال والإهلاك، الله ربكم، أي خالقكم والمتصرف في أموركم، وهو الحاكم العادل الذي لا يجور، وإليه ترجعون في الآخرة، فيجازيكم بما كنتم تعملون في هذا العالم من خير أو شر^(٢).

٢. حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ مَا أَزِدُّكَ اتِّخَذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ٢٦ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ٢٧ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْأَفْلَهِ ٢٨﴾

ومن الأساليب الخيرية ما يكون مؤكداً بيان، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ٢٥﴾ [الزخرف: ٢٦].

أي: بريء مما تعبدون من أصنام لا أعبدتها^(١).

وبنفس المعنى في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُي وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ١٩﴾ [الأنعام: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَىٰ نُوْحٍ وَأَمَّا إِلَهُ ٱلْمُشْرِكِينَ ٢٠﴾ [الأنعام: ٢٠].

ثالثاً: أسلوب الحوار:

١. حوار نوح عليه السلام مع قومه.
قال تعالى: ﴿قَالُوا يَنْتُحِ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَلَنَا فَأُنَادِي بِمَا تَدْعُنَا إِن كُنتَ مِنَ ٱلصّٰدِقِينَ ٢٢﴾ قال إنما يأبىكم به الله إن شاء وما أنتم بمُعْجِزِينَ ٢٣ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٢٤ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَاهُ قُلْ إِن أَفَرَّغْنَاهُ فَعَلَىٰ إِبْرٰهِيْمَ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُشْرِكُونَ ٢٥﴾ [هود: ٣٢-٣٥].

والمعنى: قال قوم نوح له: قد طال منك هذا الجدل، وهو المراجعة في الحجة

(٢) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي ٢/ ١٠٤٠، تفسير الشعراوي ١١/ ٦٤٤٨.

(١) انظر: أيسر التفاسير، الجزائري ٤/ ٦٣٥.

رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ
لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ
(٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا
أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْفَوِرَ إِلَيَّ بَرًى مِمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿[الأنعام: ٧٤ - ٧٨].

والمعنى: اذكر أيها النبي حين قال إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر: أتتخذ هذه الأصنام والأوثان الجمادات آلهة، تعبدونها من دون الله، مع أن الله هو الذي خلقها وخلقك، فهو المستحق للعبادة دونها، إني أراك وقومك الذين يعبدون هذه الأصنام في ضلال واضح، أي تائهين حيارى جهلاء، وأي ضلال أوضح من عبادتكم صنما من حجر أو شجر أو معدن، تنحتونه بأيديكم، ثم تعبدونه وتقصدونه، ثم أوضح الله تعالى ما رآه إبراهيم من ملكوت السماوات والأرض، أي تبيان وجه الدلالة في خلقهما على وحدانية الله في ملكه وخلقها، فلما أظلم عليه الليل، رأى كوكبًا عظيمًا متميزًا عن سائر الكواكب بإشراقه ولمعانه، وهو كوكب المشتري أو الزهرة، فقال موهماً قومه في مقام المناظرة والحجاج: هذا ربي، على سبيل الفرض.

فلما غرب هذا الكوكب، قال إبراهيم: ما هذا بإله، ولا أحب ما يغيب ويختفي؛ لأن للإله السيطرة على الكون، فكيف يغيب الإله ويستتر، ثم انتقل إبراهيم من إبطال

ألوهية الكوكب إلى إبطال ألوهية القمر الأكثر إضاءة، فلما رأى القمر بازغًا طالعا عم ضوءه الأرض، قال: هذا ربي، فلما غاب كما غاب الكوكب في الليلة الماضية، قال إبراهيم مسمعا قومه: ما هذا أيضًا بإله، ولئن لم يهديني ربي ويوفقني لإصابة الحق في توحيده، لأكونن من القوم الضالين المخطئين الطريق، فلم يصيبوا الهدى، وعبدوا غير الله.

ولما رأى إبراهيم الشمس بازغة طالعة، وهي أعظم الكواكب المرئية لنا، قال إبراهيم: هذا هو الآن ربي، هذا أكبر من الكواكب والقمر قدرًا، وأعظم ضوءًا ونورًا، فلما غابت الشمس كما غاب غيرها، صرح إبراهيم بعقيدته، وتبرأ من شرك قومه، قائلًا: إني توجهت في عبادتي لخالق الأرض والسما، وخالق هذه الكواكب، إني بريء مما تشركون، باتخاذ إله آخر مع الله، وإنما أعبد خالق هذه الأشياء ومدبرها الذي بيده ملكوت كل شيء، وخالق كل شيء. ومثل إبراهيم لقومه بهذه الأمور؛ لأنهم كانوا أصحاب علم نجوم ونظر في الأفلاك، قال إبراهيم: إني أقبلت بقصدي وعبادتي وتوحيدي وإيماني للذي أبدع السماوات^(١).

(١) انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ٧/ ٢٥٩.

ما يُتَبَرَأُ مِنْهُ

أولاً: الأوثان والمعبودون من دون الله:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الطاغوت: كل ما صرف عن عبادة الله تعالى من إنسان أو شيطان أو غيرهما^(١)، والمعنى: فمن تبرأ وخلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة غير الله، وآمن بالله تعالى إيماناً خالصاً صادقاً فقد ثبت أمره واستقام على الطريقة المثلى التي لا انقطاع لها، وأمسك من الدين بأقوى سبب وأحكم رباط^(٢).

وفي الموضع التالي يبين الله تعالى سبب براءة إبراهيم عليه السلام والمؤمنين معه من القوم في ذلك الزمان، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة: ٤].

والمعنى: قد كانت لكم قدوة طيبة حميدة تقتدون بها في إبراهيم خليل الرحمن أبي الأنبياء والذين آمنوا معه من أتباعه حين قالوا لقومهم: إنا بريئون منكم؛ لكفركم

بالله، وبريئون من كل ما تعبدون من غير الله من الأصنام والأنداد، فقد جحدنا بما آمتم به من الأوثان، أو بدينكم، أو بأفعالكم، فإن تلك الأوثان لا تنفع شيئاً، فهي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر^(٣).

ثانياً: المشركون عامة وذوو الأرحام منهم خاصة:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

لما وعد إبراهيم من أبيه أنه سيؤمن، كان بمنزلة المؤلفة قلوبهم بالاستغفار له؛ لأنه ظنه متردداً في عبادة الأصنام لما قال له: ﴿وَأَمْحَرْنِي مَلِكًا﴾ [مريم: ٤٦].

فسأل الله له المغفرة لعله يرفض عبادة الأصنام، ولكن لما علم يقيناً أنه مصرٌّ على الكفر أعلن براءته منه علانية وبشكل صريح في قوله تعالى -كما يدل عليه قوله-: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ﴾^(٤).

وفي موضع آخر يعلن إبراهيم براءته من قومه عامة ومن أبيه خاصة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦].

(٣) انظر: مدارك التنزيل، النسفي ٣/ ٤٦٨.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٨/ ٢٧٤.

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور ٩/ ١٥، تاج العروس، الزبيدي ٣٨/ ٤٩٥.

(٢) انظر: الجواهر الحسان، الثعالبي ١/ ٥٠٤.

أي: واذكر أيها الرسول لقومك قريش المعتمدين على تقليد الآباء والأجداد في عبادة الأصنام، حين تبرأ إبراهيم عليه السلام مما يعبد أبوه أزر، وقومه من الأصنام، إلا من عبادة خالقه وخالق الناس جميعاً، والذي قال بأنه سيرشدني لدينه، كما أرشدني في الماضي، وبشبتني على الحق^(١).

وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

أي: من شأن المؤمنين الصادقين أن يتعدوا عن موالاته أعداء الله ورسوله، ولو كان هؤلاء الأعداء، آباءهم الذين أتوا إلى الحياة عن طريقهم أو أبناءهم الذين هم قطعة منهم، أو إخوانهم الذين تربطهم بهم رابطة الدم أو عشيرتهم التي يتسبون إليها، بل يجب إعلان البراءة منهم؛ وذلك لأن قضية الإيمان يجب أن تقدم على كل شيء، ثم أثنى سبحانه على هؤلاء المؤمنين الصادقين

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٧٦٥.

الذين لم يوالوا أعداء الله مهما بلغت درجة قربتهم فقال: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: أولئك الذين لا يوادون أعداء الله، مهما كانوا، هم الذين كتب الله تعالى الإيمان في قلوبهم، فاختلط بها واختلطت به، فصارت قلوبهم لا تحب إلا من أحب دين الله، ولا تبغض إلا من أبغضه^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٣ - ٢٤].

والمعنى: يا أيها المصدقون بالله ورسوله، لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء تنصرونهم في القتال، وتؤيدون الكفار لأجلهم، أو تطلعونهم على أسرار المسلمين العامة أو الحرية، إن اختاروا الكفر على الإيمان، وآثروا الشرك على الإسلام، ومن يتولاهم منكم فأولئك هم الظالمون لأنفسهم وأمتهم لأنه خالفوا الله ورسوله، بموالات الكافرين بدلاً من التبرؤ منهم، فبعد أن

(٢) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ٤ / ٢٥١.

ثمرات البراءة ونتائجها

البراءة هي جزء أساس من عقيدة المسلم، وإذا التزم المسلم بهذه العقيدة فسيكون لها ثمرات ونتائج كثيرة في الدنيا والآخرة، وستتعرف على أهم هذه الثمرات:

أولاً: الفوز بمرضاة الله، والنجاة من سخط الجبار جل جلاله:

ما قال سبحانه: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتِلُوا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ بِهِمْ عُقَّةٌ إِنْ كَانَ مِنَ الْبُرَىٰ فَلَا يَكْفُرُونَ بِهِمْ عَلَىٰ عِلَّةٍ مِنْهُمُ الْغُيُوبُ﴾ [النساء: ١٣٩].

وبعقيدة البراءة تتحقق أوثق عرى الإيمان: جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه: (أي عرى الإيمان أوثق)؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: (الموالة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله) (٢).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢٨٦/٤، والحاكم في المستدرک ٤٨٠/٢، والطبراني في المعجم الكبير ٢١٥/١١.

قال الألباني في السلسلة الصحيحة ٩٩٨، ١٧٢٨: «الحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى

نهى عن مخالطتهم، أوضح أن هذا النهي للتحريم لا للتنزيه، بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

قال ابن عباس: هو مشرك مثلهم؛ لأنه رضي بشركهم، والرضا بالكفر كفر، كما أن الرضا بالفسق فسق.

ثم أمر تعالى رسوله أن يتوعد من آثر أهله وقرباته وعشيرته على الله ورسوله وجهاد في سبيله، مصدرًا ذلك بكلمة (إن) المفيدة للشك؛ لأن حب الكافرين مشكوك فيه من المؤمنين، والمقصود هو تفضيل حبهم على حب الله، أما أصل الحب فهو أمر فطري طبعي لا لوم عليه، ولا مؤاخذه فيه؛ لأن التكليف يتوجه على الأمور المقدورة للإنسان، لا على الأمور الجبلية الفطرية كالحب والبغض.

فقال له: قل: إن كنتم تؤثرون هذه الأشياء الثمانية، وتفضلون الآباء، والأبناء، والإخوان، والأزواج، والعشيرة (القرباة القريبة) والأموال، والتجارة، والمساكن، على حب الله ورسوله، أي طاعتهما، والجهاد في سبيله الذي يحقق السعادة الأبدية في الآخرة، فانتظروا حتى يأتي الله بعقابه العاجل أو الآجل (١).

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ١٧٧/١٤، تفسير النكت والعيون، الماوردي ٣٤٩/٢.

ثالثاً: حصول النعم والخيرات في الدنيا، والثناء الحسن في الدارين:

ولنتأمل قول الله عز وجل - في حق إبراهيم عليه السلام-: ﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۖ ﴾ [مريم: ٤٩-٥٠].

يبين سبحانه ما ترتب على اعتزال إبراهيم عليه السلام للشرك والمشركين، والمعنى: حين اعتزل إبراهيم عليه السلام أباه وقومه وأكثهم الباطلة لم نضيعه، وإنما أكرمناه وتفضلنا عليه بأن وهبنا له إسحاق ويعقوب ليأمنس بهما بعد أن فارق أباه وقومه من أجل إعلاء كلمتنا وكلاً جعلنا نبياً أي: وكل واحد منهما جعلناه نبياً ووهبنا لهم أي: لإبراهيم وإسحاق ويعقوب من رحمتنا بأن جعلناهم أنبياء ومنحناهم الكثير من فضلنا وإحساننا ورزقنا^(٤)، فاعتزال الشرك والمشركين، والفسق والفاسقين، يؤدي إلى السعادة الدنيوية والدنيوية.

رابعاً: يكون من حزب الله تعالى، ويحقق الغلبة والنصر على الكافرين:

قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ ۖ ﴾

(٤) انظر: التفسير الوسيط، محمد طنطاوي / ٩٤٤.

وجاء في الحديث الآخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان)^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله»^(٢).

ثانياً: السلامة من الفتن والفساد في الأرض:

قال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَهْدِهِمْ أُولَٰئِكَ بَعْضٌ ۖ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۖ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

يقول ابن كثير: «أي إن تجانبوا المشركين، وتوالوا المؤمنين، وإلا وقعت فتنة في الناس، وهو التباس واختلاط المؤمنين بالكافرين، فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل»^(٣).

درجة الحسن على الأقل».

(١) أخرجه أبو داود رقم ٤٠٦١، والترمذي رقم ٢٤٤٠.

وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم ٣٠٢٩.

(٢) الاحتجاج بالقدر ص ٦٢.

(٣) تفسير ابن كثير، ٩٨/٤.

خامساً: تحفظ المسلم من الانقياد للكافرين:

قال جل شأنه: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ ءُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

يحذر الحق تعالى المؤمنين من إطاعة أهل الكتاب والافتتان بفتنتهم إثر توبيخهم بالإغواء والإضلال ردعاً لهم عن ذلك، وتعليق الرد بطاعة فريق منهم؛ للمبالغة في التحذير عن طاعتهم، وإيجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية، فإنه في قوة أن يقال (لا تطيعوا فريقاً).. الخ كما أن تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَنَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

الركون إلى الشيء: الميل إليه. يقال: ركن فلان إلى فلان، إذا مال إليه بقلبه، واعتمد عليه في قضاء مصالحه^(٣).

والمراد بالذين ظلموا هنا: ما يتناول المشركين وغيرهم من الظالمين.

والمعنى: واحذروا -أيها المؤمنون- أن تميلوا إلى الظالمين، أو تسكنوا إليهم؛ لأن ذلك يؤدي إلى تقوية جانبهم، وإضعاف

ورسولهم. وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [المجادلة: ٢٢].

أي: من شأن المؤمنين الصادقين أن يتعدوا عن موالاته أعداء الله ورسوله، ولو كان هؤلاء الأعداء، آباءهم الذين أتوا إلى الحياة عن طريقهم أو أبناءهم الذين هم قطعة منهم، أو إخوانهم الذين تربطهم بهم رابطة الدم أو عشيرتهم التي ينتسبون إليها، بل يجب إعلان البراءة منهم؛ وذلك لأن قضية الإيمان يجب أن تقدم على كل شيء.

ثم أثنى سبحانه على هؤلاء المؤمنين الصادقين الذين لم يوالوا أعداء الله مهما بلغت درجة قرباتهم فقال: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي: أولئك الذين لا يوادون أعداء الله مهما كانوا، هم الذين كتب الله تعالى الإيمان في قلوبهم، فاختلط بها واختلطت به، فصارت قلوبهم لا تحب إلا من أحب دين الله، ولا تبغض إلا من أبغضه^(١).

(٢) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢ / ٦٤.

(٣) انظر: تاج العروس ٣٥ / ١٠٩.

(١) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي ٤ / ٢٥١.

ذلك سبيل، فالزم هدى الله الذي لجمع
الخلق إلى الألفة عليه سبيل»^(٢).

جانب الحق والعدل^(١).

سادسًا: نبيل ولاية الله:

قال تعالى: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا
النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ
الْمُهْدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ
الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:
١٢٠].

قال الإمام الطبري في هذه الآية ما
ملخصه: «ولست اليهود، يا محمد، ولا
النصارى براضية عنك أبدًا، فدع طلب ما
يرضيهنم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا
الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من
الحق، فإن الذي تدعوهم إليه من ذلك لهُو
السبيل إلى الاجتماع فيه معك على الألفة
والدين القيم. ولا سبيل لك إلى إرضائهم
باتباع ملتهم؛ لأن اليهودية ضد النصرانية،
والنصرانية ضد اليهودية، ولا تجتمع
النصرانية واليهودية في شخص واحد في
حال واحدة، واليهود والنصارى لا تجتمع
على الرضا بك، إلا أن تكون يهوديًا نصرانيًا،
وذلك مما لا يكون منك أبدًا؛ لأنك شخص
واحد، ولن يجتمع فيك دينان متضادان في
حال واحدة، وإذا لم يكن إلى اجتماعهما
فيك في وقت واحد سبيل، لم يكن لك إلى
إرضاء الفريقين سبيل. وإذا لم يكن لك إلى

موضوعات ذات صلة:

الإيمان، التوحيد، الشرك، الولاء

(٢) جامع البيان، الطبري، ٥٦٣/٢.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري ٥٢٦/١٥.